الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش اليونسكو :

يوالى مؤتمر اليونسكو عقد جلساته فى بيروت ، وتلقى فى هذه الجلسات خطب تتضمن الإشادة بمثل الثقافة الإنسانية والتعاون العالمى فى الميدان الفكرى ، وتقدم اقتراحات ، وتؤلف لجان .. ويلاحظ فى تبادل التحيات بين ممثلى الدول المختلفة ، ما يبديه رجال الغرب من تنويه بفضل ثقافة العرب على الحضارة الغربية ، وعزم على توثيق الروابط الفكرية بين الشرق والغرب ، ثم ثناء على كرم الضيافة العربية .

وكل ذلك جميل رائع ، ولكن لست أدرى أى شيطان بعث إلى تصورى بجانب ذلك صورة كلاب الحراسة التى ضربها أستاذنا الزيات مثلا للمهذبين من بنى آدم[1] ... قلت لنفسى ، أو قال لها ذلك الشيطان : إنها نوبة النهارش ! ألست تتمثل أولئك المندوبين العالميين فى قصر اليونسكو تحت ظلال أشجار الأرز بلبنان .. ؟ يكادون يذوبون من فرط الرقة والتلطف والمجاملة فليس هناك وجبة تقدم ولا عظمة فى حواشى الفناء ... المسألة كلها خطب وفلسفات ، فما الداعى إلى العراك وتحلب الأشداق واحمرار الأحداق ؟ هذا مكانه (ليك ساكسس) و(قصر شايو) حيث يأكون لحم الأمم الصغيرة وعظامها أيضا . أما فى مؤتمر الثقافة فلا بأس من التظاهر بالتعاطف والثناء على الشرق وكرم الضيافة العربية . وسينفض المؤتمر ويترك الحبر على الورق ويعود المندوبون رجال سياسة ، كما يعود الزعماء والوزراء وغيرهم من الكبار إلى قصورهم ومكاتبهم بعد زيارة الفلاحين فى حقولهم وتقديرهم لمجهود الفلاح وفضله ، ورثائهم لسوء عيشه ، ووعدهم بتحسين حاله ورفع مستواه .

(١) افتتاحية الرسالة فى الأسبوع الماضى .

وعد بنا إلى كلاب الحراسة تحت ظلال الشجر ... هذه الكبار توطىء أكنافها للصغار وتبدى لها الود ، وهؤلاء مندوبو الغرب يقترحون على اليونسكو مساعدة اللاجئين الفلسطينيين فى حدود اختصاصها ، ويشكرهم مندوبو البلاد العربية . ويقول لى ذلك الشيطان : أترى فى ذلك أكثر من العطف العقيم فى أثناء النهارش تحت ظل الأشجار ... أم ترى اليونسكو تعمل شيئا جديا لهؤلاء المساكين غير « التوصيات » .. !

ذكرت بذلك حكاية جارية غنت فى مجلس فأجادت ، فقام اليها رجل من الجالسين وقال لها : بأبى أنت وأمى ، وددت لو كان لى مال فوهبته لك .. ولكنى أرجو أن يجعل الله لك كل حسنة لى ويحملنى عنك كل سيئة عليك . فأقبلت عليه الجارية وشكرته . فتقدم رجل آخر وقال لها : كل مملوك لى حر وكل امرأة طالق إن كان قد وهب لك شيئا أو حمل عنك ثقلا ، فماله حسنة يهبها لك ولا عليك سيئة يحملها عنك ، فعلى أى شىء تشكرينه ؟

عزيزى الأستاذ محمد عبد الوهاب :

أعبر لحضرتكم عن شعورى إذ أقول إن قلبى كان معكم حينما كتبت إلى الآنسة أم كلثوم فى شأن تحكمها فى الإذاعة ، أو إغداق الإذاعة عليها ، بمنحها خمسين جنيها فى كل مرة تذاع لها أغنية مسجلة مأجورة عند تسجيلها ، حتى يقدر مجموع ذلك بنحو ألف جنيه فى الشهر .

كان قلبى معك يا أستاذ عبد الوهاب ، لأن الإذاعة تخص أم كلثوم بتلك المعاملة الهائلة .. أما أغنياتك المسجلة فتشكو إلى الأثير جراحا .. ولذلك سرنى ما نشر من أنك طلبت عدم إذاعة أغانيك ، وأن الإذاعة رجتك أن تعدل عن هذا الطلب مؤقتا إلى أن تعقد معك اتفاقا جديدا .

فامض فى طلبك وتشدد فيه ، فإن هذه الإذاعة لا ينفع معها غير ذلك . وإنك لابد ظافر بألف جنيه فى الشهر ، واعلم أنك وأم كلثوم الدعامتان اللتان يقوم عليهما فن الغناء والموسيقى فى هذا العصر ، وأن أمثالكما من كبار الفنانين فى روسيا الشيوعية ينالون أكبر الأجور ويصيبون أوفر حظ من الترف والنعيم ، كما يتراءى الينا من وراء الستار الحديدى .

فاحرص أيها الفنان العظيم على ذلك الحق « الشيوعى » كما تحرص عليه أم كلثوم ، وكما يحرص عليه كبار الموظفين فى الإذاعة وإن لم يكونوا من الفنانين ... وعلى كل من يذيع بعد ذلك ، وعلى الديموقراطية ، وعلى الإذاعة ، السلام ... وسلام عليك .

نحو الحياد الثقافى :

نشرت « المصرى » لمراسلها بباريس نقلا عن أنباء موسكو أنه صدر فيها بلاغ رسمى جاء فيه أن أكاديمية العلوم ستنشر ٤٢ كتاباً فى سنة ١٩٤٩ عن الدراسات الشرقية منها كتب هامة عن العرب والأدب العربى الحديث ، وقد كتب عن الموضوع الأخير المستشرق برجنانى كراشكوفسكى ، وأهم ما كتب فيه يتعلق بالمؤلفين والكتاب العرب فى خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، وستنشر الأكاديمية أيضاً كتاباً عن تحليل ما بقى من اللغة العربية فى اللغات التى يستخدمها سكان جمهورية أوزبك السوفيتية ، وعنوان الكتاب « العرب فى آسيا الوسطى » .

وعلق المراسل على ذلك بأن هذا الاهتمام من جانب روسيا بشؤون العرب لا يقاس إلى جانب المعركة الخفية بين رجال الحزب الشيوعى وبين رجال الدين الإسلامى فى جنوب الاتحاد السوفيتى وذكر المراسل كلاماً كثيراً دال به على هذه المعركة ، منه امتناع التلاميذ المسلمين عن الدارس لاعتقادهم أن فى المواد الدراسية ما يتنافى مع الدين الإسلامى ، ومنه استغلال بعض الكتاب حرية النقد فى الطعن على الإسلام وإنكار وجود الله .. الخ .

ولا شك أن المقارنة بين اهتمام روسيا بالشؤون العربية الأدبية والثقافية وبين المعركة الدينية الخفية ، خلط ظاهر ... فالخبر نفسه ذو أهمية كبيرة ، فنحن نسعى إلى رواج أدبنا وثقافتنا فى العالم ونحب أن نعرف بأنفسنا ، وأن يتحقق التعاون الفكرى العالمى بالأخذ والعطاء بيننا وبين سائر الدول شرقية وغربية . والأمم الرشيدة تعمل لنشر ثقافتها فى خارج حدودها ، وتبذل فى هذا السبيل جهوداً كبيرة . فلا يجوز أن نواجه اهتمام أى دولة بآدابنا وشؤوننا الفكرية — بالتهوين من شأنها بمثل هذا الكلام . وهل نحن نقول للمستشرقين الفرنسيين إن جهودكم فى خدمة التراث العربى لا قيمة لها لأن فرنسا تصنع بمسلمى المغرب ما تصنع ؟ وهل نقول مثل ذلك للمستشرقين الهولنديين لتنكيل هولندة بمسلمى أندونسيا ؟ ثم انجلترا التى تقفل جنوب السودان فى وجه الإسلام وتيسر للمبشرين من إرساليات الكاثوليك والبروتستانت أن ينشروا هناك دعاياتهم الدينية — أترفض التعاون مع مستشرقيها لذلك .. ؟

وإذا كنا ندعو إلى الحياد السياسى أو نختلف فيه ، فما أظن الحياد الثقافى إلا جديراً بتأييده والاتفاق عليه .

ضيعة الشباب فى مصر :

تلقت وزارة المعارف كتاباً من اتحاد الطلبة لجامعات فرنسا يطلب فيه موافاته بما قامت به مصر فى خدمة شبابها . وقد أخذت الوزارة فى إعداد البيان المطلوب .

وخدمة الشباب هى استغلال أوقات فراغهم فى إنماء ثقافتهم وإبراز ملكاتهم الفنية وتعهدها ، وتربية أذواقهم وأبدانهم ، بالمطالعة والمحاضرة والسينما الثقافية والرحلات والألعاب وغير ذلك من مختلف الوسائل . وتقوم بها فى مصر إدارة خدمة الشباب بوزارة المعارف وبعض الجمعيات الكبيرة كجمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبان المسيحية وجمعية الإخوان المسلمين ، والثانية أكثرها نشاطاً فى هذا المضمار .

أما إدارة خدمة الشباب فهى إدارة صغيرة ناشئة تشق طريقها جاهدة فى حدود « المستطاع » وهو قليل — وحسبك أن تعلم أنه لا ميزانية لها .. بدأت العمل وسارت فيه وقطعت أشواطاً وليس لها اعتماد مالى !

لم تقف أمام ضيق الميزانية جامدة ، بل تلفتت حولها فلمحت إلى جانبها « إدارة التأمين الاجتماعى » وهى ذات صندوق يتكون مما فيه من النقود التى يدفعها طلبة المدارس الثانوية بقصد التعاون الاجتماعى بينهم ، ينفق منها على من يحتاج منهم إلى المساعدة فى الأغراض والحالات الضرورية . نظرت إدارة خدمة الشباب إلى أختها إدارة التأمين الاجتماعى ، وهمست لها وتلطفت قائلة : ألسنا نتحد فى الغاية وهى العمل لمصلحة الشباب ؟ فلم تضن عليها بل وضعت نفسها وما تملك فى خدمتها أى خدمة الشباب ...

وبذلك استطاعت إدارة خدمة الشباب أن تعمل ، فنظمت

المهرجان الأدبي والفني ، ودعت طوائف الشباب إلى مشاهدة الأفلام الثقافية في دارها ، وتعاقبت أفواج منهم في الاصطياف بمخيماتها على شاطىء الاسكندرية في الصيف الماضي . وأخيراً تم إنشاء سبعة فروع منها موزعة بمدارس القاهرة ، في كل منها ما يتيسر من وسائل التثقيف وأنواع الفنون والألعاب .

كل ذلك ليس بشيء إلى جانب ما ينبغي لخدمة الشباب في هذه البلاد التي تتكع فلذات أكبادها في طرقاتها كالكلاب الضالة .. واذهب إلى الأحياء التي تسكنها الطبقات المتوسطة ، وهي التي يتكون منها سواد الطلبة في المدارس ، مثل عابدين وجنينة كاميش وبعض جهات شبرا والعباسية ، وانظر ماذا يصنع الشباب في أوقات الفراغ .. فهذه جماعات على الطوار تحملق في النافذيات والراتحات ، وتصطنع ضوعاً من الغزل « الشوارعي » كثيراً ما يجر المشاكل والمعارك . والمحظوظون السعداء هم الذين ظفروا من ذويهم ببعض النقود فاستبقوا إلى دور السينما والمقاهي . وهذه الطبقات تنعدم فيها أسباب الفائدة في قضاء أوقات الفراغ إلى ما هو معروف من الفوضى في حياة الأسر وسوء التربية المنزلية ؛ ومن ثم ندرك الحاجة الماسة إلى الوسائل العامة لخدمة شبابنا ، ومما يرثى له أن هذه الحاجة لا يقابلها ما ينبغي لها من الجهود والعناية ، على حين نجد البلاد التي ليست حال الشباب بها كذلك لتقدم الحياة الاجتماعية فيها تهتم بخدمة الشباب اهتماماً لا يذكر بجانبه ما تظفر به هذه الخدمة في مصر ، فلو أحصى من تصل إليهم أسباب إدارة خدمة الشباب لم يزيدوا على ألف شاب من القاهرة ، ويبقى بعد ذلك في العاصمة والأقاليم مئات الآلاف مضيعين ، بل إن الذين يستفيدون فعلا لا يتحقق لهم مما يرجى إلا القليل .

إنه إذا أمكن حصر الخدمات التي تقوم بها الدولة والهيئات للشباب بمصر في أي تقرير أو بيان ، فإن ضيعة الشباب بها لا ينتهي الكلام فيها عند حد ...

من طرف المجالسي :

كان موضوع الحديث مذهب «السريالزم» في الفنون الذي يرمي إلى الفضاء على وصفها بالجمال .. فإنك تنظر إلى الصورة فلا تعرف لها معنى ، وتستعين بصاحبها فلا تجد في شرحه غناء . والشيء الوحيد الذي تتركه هذه الصور في نفسك هو تأثرك من بشاعة منظرها وما فيها من العبث بالطبيعة ... وقد سرب هذا الاتجاه إلى قليل من الشعر العربي الحديث ، وإن كان يقف بهذا القليل عند من يأتي به !

قص أحد الأصحاب ما حدث أخيراً في أحد المعارض الأوربية إذ زاره رسام أمريكي وشاهد فيه بعض الصور مقلوبة الوضع ، وراجع ما كتبه النقاد من أنصار « السريالزم » عن هذا المعرض فوجدهم قد أثنوا على صوره ، وخصوا الصور المقلوبة بوافر الثناء ولم يلاحظ أحد منهم أن أعلاها في أسفلها وأسفلها في أعلاها !

قال آخر : العجيب أن « السريالزميين » يقولون إنهم يتفقهون بالنظريات العلمية والثقافات الحديثة ، ولكن ما أثر هذه النظريات والثقافات في إنتاجهم هذا ؟

قال ثالث : أثرها واضح يا أخي كل الوضوح .. ألست ترى ما فيها من آثار مذهب داروين في النشوء والارتقاء .؟

تركيب :

نظرت لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية في هذا التركيب : « يحب ابنه كما لا يحب والد ولده » هل هو صحيح ، وما هو التركيب الفصيح الذي يؤدي هذا المعنى ؟

قال بعض الأعضاء إنه تركيب سليم وتخريجه : يحب ابنه مثل حب عظيم لا يحبه والد ولده .

فقال عضو آخر : إننا إذا فرضنا صحته فإن الركاكة بادية عليه ولم اللجوء إليه وإلى تصويبه والتعبير الفصيح الماثل له ورد في القرآن الكريم وهو « ومن كفر فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » ؟ وعلى ذلك يكون ذلك التركيب فصيحاً هكذا : يحب ابنه حباً لا يحبه والد ولده . فاستحسن الأعضاء هذا الرأي وأقرته اللجنة .

عباس خضر